# الفصل السادس
# ابتلاءات

الإبتلاء بين الرحمة والعناء.

أسباب انهيار المجتمعات كما تحددها سورة الفجر.

متى نصر الله؟

تحذير للعرب.

## الابتلاء بين الرحمة والعناء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

**إخوة الإسلام**

إنه مما لايخفى على أحد أن الحياة مليئة بالمصائب والبلايا وأن كل مؤمن ومؤمنة عرضة لكثير منها فمرة يبتلى بنفسه ومرة يبتلى بحبيبه وهكذا تتقلب عليه الأقدار من لدن حكيم عليم وإذا لم يحمل المؤمن النظرة الصحيحة للبلاء فسوف يكون زلاته أكبر من صوابه ولاسيما أن بعض المصائب تطيش منها العقول لضخامتها وفجاءتها، ومن هنا كانت هذه الكلمات تسلية لكل مصاب مهما بلغ مصابه كى يستبين لنا بعض حكم البلاء العظيمة التي ربما غفل عنها كثير من الناس وتناسوا أن الله لا يبتلى ليعذب، ولكن ليصطفى ويهذب، ومن هنا تأتى رحمة الله وعلى المؤمن أن ينظر إلى مفهوم البلاء من خلال كتاب الله عز وجل وسنة النبى المصطفى ﷺ.

*** أولاً: الابتلاء قدر وامتحان:**

نعم الابتلاء امتحان فنحن في قاعة امتحان كبيرة، فكل مافيها ابتلاء وامتحان، فالمال امتحان والزوجة امتحان، الغنى والفقر امتحان الصحة والمرض امتحان وكلنا ممتحن فيما يملك في هذه الحياة حتى يلقى الله عز وجل.

قال تعالى:{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: 35].

وقال أيضا:{أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} [العنكبوت: 2].

فأنت أيها المعافى ممتحن، ولكن ما أحسست أنك في قاعة امتحان حتى ابتليت وأنت أيها المريض ممتحن، ولكم ما أحسست أنك في قاعة

امتحان حتى شفيت، وليس فينا من هو أكبر من أن يمتحن وكيف لا؟ وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مصعب بن سعد عن أبيه أن النبى ﷺ قال: **أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ويبتلى المرء على قدر دينه** [1].

فليس فينا من يملك رفض هذا الامتحان، فكلنا مبتلى وكلنا ممتحن في هذه الحياة.

يقول الفضيل بن عياض: " الناس ماداموا في عافية مستورون فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم فصار المؤمن إلى إيمانه وصار المنافق إلى نفاقه " وليعلم الناس أن الله قسم بين الناس معايشهم وآجالهم كما أخبر في كتابه فقال: **{نحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}** [الزخرف: 32].

فالرزق مقسوم، والمرض مقسوم والعافية مقسومة، وكل شيء في هذه الحياة مقسوم، فارض بما قسمه الله لك يا عبد الله، ولا تجزع للمرض ولا تكره القدر، فإن كل شيء بيد الله، فيمرض من يشاء، ويعفى من يشاء، ألا له الخلق والأمر؟ واعلم أنه ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن من يرد أن تكون الحياة على حال واحدة، فكأنما يريد أن يكون قضاء الله تعالى وفق هواه وما يشتهيه ولكن هيهات هيهات [2].

**ياصاحب الهم إن الهم منفرج ::: أبشر بخير فإن الفارج الله**
**اليأس يقطع أحيانا بصاحبه ::: لا تيأسن فإن الكافى الله**
**الله يحدث بعد العسر ميسرة ::: لا تجزعن فإن القاسم الله**
**إذا بليت فثق بالله وارض به ::: إن الذي يكشف البلوى هو الله**
**والله مالك غير الله من أحد ::: فحسبك الله في كل لك الله**

ويقول بعض السلف: إذا نزلت بك مصيبة فصبرت كانت مصيبتك

(1) رواه البخاري.
(2) رسالة ورقية (البلاء في حسن المؤمن).

واحدة وإذا نزلت بك ولم تصبر فقد أصبت بمصيبتين فقدان المحبوب وفقدان الثواب.

ويقول ربنا:{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الحج: 11].

ويقول الشاعر الحكيم:

**قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ::: ويبتلى الله بعض القوم بالنعم**

*** ثانيا: الابتلاء علامة حب ورأفة:**

إن المصائب والبلاء امتحان للعبد وهى علامة حب من الله له إذ هى كالدواء فإنه وإن كان مرا إلا أنك تقدمه على مرارته لمن تحب ولله المثل الأعلى.

وقد قال النبى ﷺ :♂**إن عظم الجزاء من عظم البلاء وإن الله عز وجل إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط**♂ (1).

ويقول ابن القيم - رحمه الله - إن ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه لأهلكته أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء ويستعد به إلى تمام الأجر وعلو المنزلة.

ولاشك أن نزول البلاء خير للمؤمن من أن يدخر له العقاب في الآخرة وكيف لا وفيه ترفع درجاته وتكفر سيئاته وقد قال النبى ﷺ: ♂**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسكه عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة**♂ (2).

وبين أهل العلم أن الذي يمسك عنه هو المنافق، فإن الله يمسك عنه في الدنيا ليوافيه بكامل ذنوبه يوم القيامة.

واعلم أنه... لا يرفع الله بلاء إلا إذا رضى العبد به.

واعلم أنه... ماكان دائما يبتلى ليعذب، ولكن يبتلى ليصطفى ويهذب.

(1) رواه الترمذي وصححه الألباني من حديث أنس.
(2) رواه الترمذي.

**عباد الله:**

لما فهم السلف الصالح (رضوان الله عليهم) الحكمة الشرعية للبلاء كانوا أفضل منا حالا معه وضربوا لنا أروع الأمثال في الصبر والعزاء والاحتساب روى عن عمر الفاروق ﷺ أنه كان يكثر من حمد الله على البلاء فلما سئل عن ذلك قال: ما أصبت ببلاء إلا كان على فيه أربع نعم: أنه لم يكن في دينى، وأنه لم يكن أكبر منى، وأنى لم أحرم الرضا والصبر، وإنى أرجو ثواب الله عليه.

وهذا هو عروة بن الزبير - رحمه الله - أصيب في قدمه فقرر الأطباء قطعها، فقطعت فما زاد على أن قال: اللهم لك الحمد، فإن أخذت فقد أبقيت وإن ابتليت فقد عافيت فلما كان من الغد ركلت بغلة ابنه محمدا وهو أحب أبنائه إليه. وكان شابا يافعا فمات من حينه فجاءه الخبر بموته فما زاد على أن قال مثلما قال في الأولى فلما سئل عن ذلك قال: كان لى أربعة أطراف فأخذ الله منى طرفا وأبقى لى ثلاثة وكان لى سبعة من الولد فأخذ الله منى واحدا وأبقى لى ستة وعافانى فيما مضى من حياتى ثم ابتلانى اليوم بما ترون، أفلا أحمده على ذلك؟

ولا تنس أيها الأخ الحبيب أنه:

- إذا أصبت بأمر عارض أن تحمد الله على أنك لم تصب بعرض أشد منه وأنه وإن ابتلاك فقد عافاك وإن أخذ منك فقد أعطاك.
- لا تنس أنه مهما بلغ مصابك فلن يبلغ مصاب الأمة جمعاء بفقد حبيبها ﷺ فتعز بذلك كما جاء في الحديث الذي رواه البيهقى وصححه الألبانى، أن رسول الله ﷺ قال: ♂**إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بى فإنها من أعظم المصائب**♂.
- وإذا أصابتك مصيبة فقل: ♂**اللهم أجرنى في مصيبتى واخلف لى خيرا منها فإنك إن قلت ذلك أجارك الله في مصيبتك وخلفها عليك بخير**♂.
- لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون فلا تيأس مهما بلغ بك البلاء فإن الله يقول: **{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}** [الشرح:

5، 6] وكما قال الفاروق عن هذه الآية ما كان لعسر أن يغلب يسرين.

البلاء يذكر بعيوب النفس ليتوب الإنسان عن الذنوب والمعاصى حيث يقول ربنا:{وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ} ويقول أيضا:{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [الشورى: 30] ويقول أيضا:{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة: 21] والعذاب الأدنى هو نكد الدنيا ونغصها.

البلاء درس تربوى عملى يربينا على الصبر وما أحوجنا إلى الصبر في كل شيء وما أحوجنا إلى الصبر في كل شيء فلن نستطيع الثبات على الحق إلا بالصبر على طاعة وعن معصية الله فكل ذلك زادنا إلى جنة الخلد والرضوان.

قال تعالى:{وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: 35] وهنا سؤال يرد على خاطر كثير من الناس وهو: هل الشكوى إلى الله تتنافى مع الصبر على البلاء؟؟ وهنا نجيب على ذلك فنقول:

**إخوة الإيمان:**

اعلموا أن شكوى العبد لربه من الألم والضر الذي أصابه لايتنافى مع صبره حيث إن القرآن الكريم قد طالعنا بما حدث مع نبى الله يعقوب عليه السلام حين وعد ربه الصبر كما حكى القرآن:{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ} [يوسف: 83].

والمعنى: لا أشكو ذلك إلى أحد وحيث قال أيضا على لسان نبيه يعقوب عليه السلام:{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [يوسف: 86].

وهذا نبى الله أيوب عليه السلام أثنى عليه القرآن في صبره فقال تعالى:{إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: 44] مع أنه اشتكى إلى ربه شدة البلاء الذي أصابه حيث قال ربنا:{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} [الأنبياء: 84].

وعلى هذا فيجوز من شكوى المريض ماكان عن طريق الطلب من الله وعلى غير طريق التسخط للقدر والتضجر.

قال العلامة القرطبي: اتفق العلماء على كراهية شكوى العبد ربه وشكواه إنما هو ذكره للناس على سبيل التضجر وأن الألم لايقدر أحد على رفعه والنفوس مجبولة على وجدان ذلك فلا يستطاع تغييرها عما جبلت عليه، وإنما كلف العبد ألا يقع منه في حال المصيبة ماله سبيل إلى تركه كالمبالغة في التأوه والجزع الزائد، أما مجرد التشكى فليس مذموما حتى يحصل التسخط للمقدور [1].

ويقول الإمام النووى: فلعلهم أرادوا بالكرامة خلاف الأولى فإنه لا شك أن اشتغاله بالذكر أولى.

قال ابن حجر: ولعلهم أخذوه بالمعنى من كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضاء وتورث شماتة الأعداء وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا وقد أخبر النبى ﷺ من حديث صهيب: ♂**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ولا يكون ذلك إلا للمؤمن**═ [2].

أما إذا كانت شكوى الإنسان على سبيل التبرم والتضجر والجزع فإنه ينطبق عليه قول القائل:

**وإذا شكوت إلى ابن آدم فكأنما ::: تشكو الرحيم الذي لا يرحم**

وقد أخبر الله جل وعلا في حديثه القدسى فقال: ♂**من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليلتمس ربا سواى**═ [3].

نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من الصابرين الشاكرين الحامدين.

اللهم آمين.

(1) انظر فتح الباري.
(2) البيهقي ومسلم.
(3) الطبراني عن أبي هند الداري.

* * *

## أسباب انهيار المجتمعات كما تحددها سورة الفجر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.. وبعد:

**إخوة الإسلام:**

إن الصراع بين الحق والباطل من الأمور القديمة منذ بداية الخليقة وسيظل الصراع بين الحق والباطل ما دام هناك حياة أو أحياء وقد أراد الله ﷻ أن يأخذ كل ذى حق حقه إذ أن الله هو العدل وقد حرم الظلم على الناس كما في الحديث القدسى: ♂ **يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا** ═ ومانراه يحدث الآن من ظلم واستبداد للشعوب العربية والإسلامية أمر تحرمه الكتب السماوية وتجرمه القوانين الوضعية وترفضه وتأباه العقول السوية.

**إخوة الإسلام:**

ونتناول هذا الموضوع الخطير من خلال العناصر التالية:

**أولا**: الإسلام قضية عادلة في يد محام فاشل.

**ثانيا**: في معرض الأمثال لانهيار المجتمعات.

**ثالثا**: دمار المجتمعات بالطغيان والفساد.

☒ **أولا: الإسلام قضية عادلة في يد محام فاشل:**

إن هذا الدين هو الذي ارتضاه الله تبارك وتعالى لكل الناس والأجناس والشعوب حيث يقول الله ﷻ: **{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ}** [آل عمران: 19] ويقول أيضا: **{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** [آل عمران: 85].

وقد جعل الله تبارك وتعالى هذه الأمة - أمة الإسلام - أمة عزيزة قهرت كسروية الفرس وقيصرية الروم، ونشرت الإسلام في شتى ربوع الأرض، وجعلها خير أمة أخرجت للناس ولكن بشروط هى:

☒ الأخوة:

حيث يقول الله ﷻ:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: 10].

☒ الإعتصام:

قال تعالى:{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ} [آل عمران: 103].

☒ التعاون:

يقول تعالى:{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: 2].

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإيمان بالله مصداقا لقوله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ} [آل عمران: 110].

والإسلام كتاب عادل في أحكامه وما نص عليه كتاب عادل وجاء من عند رب عادل ونزل على نبى عادل وقضية الإسلام قضية عادلة.

ولكن - وبكل أسى وأسف - أمة الإسلام ليس أمة عادلة وقضية الإسلام العادلة أصبحت اليوم في يد محام فاشل ولا نقصد بالمحامى شخصا بعينه أو بلدا بعينها ولكن هى مسؤولية ملقاة على عاتق كل مسلم عربى وغير عربى إنها قضية عادلة من جميع الجوانب والنواحى لكن المحامى الذي يدافع عنها غير كفء ويهزم من كل جانب وأكبر الأدلة على ذلك أننا تخلينا عن إسلامنا وبرهنا لأعدائنا على ذلك حيث أصبحنا لانعرف عن الإسلام إلا اسمه فحسب نعم عددنا كثير ولكن غثاء كغثاء السيل كما أخبرنا بذلك من الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ حيث قال:♂**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها**ـــ قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله قال:♂**بل كثير ولينزعن الله المهابة من صدوركم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن**ـــ قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال:♂**حب الدنيا وكراهية الموت**ـــ [1].

(1) رواه أحمد وابن ماجه.

وعددنا [1] أشبه بعدد الأصفار الذى يأخذ مسار الواحد الصحيح وكم نود ونتمنى أن يأخذ وضعه الصحيح وأن ينقل الواحد الصحيح إلى وضعه فتكون الأصفار على يمينه وليس على يساره، أصبح الإسلام قضية عادلة في يد محام فاشل وقاضٍ جبان.

**☒ ثانيا: في معرض الأمثال لانهيار المجتمعات:**

**عباد الله – إخوة الإسلام:**

إن القوى هو الله والغالب المقتدر هو الله وإذا كان الله تبارك وتعالى قد أعطى فلانا جانبا من القوة وأنعم على البلد الفلانى بجانب من القوة ويريد هذا البلد أن يفرض سيطرته على العالم بأسره ويفعل به ما يشاء كما يفعل الآن الأمريكان فإن القرآن الكريم قد أخبرنا وتحدث عن مثل هؤلاء وعما صنع بهم ليكونوا عبرة لغيرهم وقد بينت سورة الفجر أسباب انهيار المجتمعات من خلال ما حدث لـ:

قوم عاد حيث أرسل الله إليهم نبيهم هود، قال تعالى:**{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ}**.

فيسأل الله عز وجل نبيه وكل مؤمن بعد ذلك يتلو القرآن ألم يأتك نبأ عاد ومما حل بهم ويشير القرآن إلى أن موطنهم بالأحقاف وهى كثبان رملية وهو مكان معروف حتى الآن شرقى اليمن بحضر موت في جنوب جزيرة العرب حيث لاتزال آثار مساكنهم تشهد بنهايتهم حيث إن قوم عاد استكبروا بقوتهم وقالوا من أشد منا قوة.**{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}** [فصلت: 15].

وقد [2] بين الله ﷻ عقاب هؤلاء المعاندين المتكبرين فقال:**{وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ}** [الحاقة: 6 - 8] لقد أرسل الله عليهم ريحا صرصرًا عاتية، باردة شديدة سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما نسأل الله أن يسلط على أمريكا ومن تحالف معها

(1) من مقال للدكتور/ عبد العظيم المطعني، والدكتور/ حمدي والي.
(2) حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم.

على أهل الإسلام العواصف والأعاصير والزلازل والبراكين.

**ثانيًا: قوم ثمود:**

حيث أرسل الله إليهم نبيهم صالحا وتبدأ الآيات وتوضح أنهم يقطعون الصخر بالواد والواد هو وادى القرى في شمال الجزيرة العربية وكان قوم ثمود يعيشون قبل الميلاد فيما يعرف الآن بالحجر وهو موقع بين الحجاز والشام إلى وادى القرى، ولا تزال آثار ثمود باقية حتى اليوم، ويطلق عليها اسم مدائن صالح ويزورها السواح والرواد، وقد كان النبى ﷺ يقول حينما مر في غزوة تبوك على واد ثمود أسرعوا فإنكم في واد ملعون، يقول تعالى:{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ} [العنكبوت: 38]، وكذلك بين الله ﷻ عقاب هؤلاء الكافرين الظالمين فقال:{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ * فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ} [الذاريات: 44، 45] لقد بعث الله عليهم صيحة ورجفةً وذلا وهوانا وعذابا ونكالا بما كانوا يكسبون.

{وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} [الفجر: 10].

كلمة فرعون، كانت تطلق على حاكم مصر قديما وكان هذا المنصب يعرف باسم (فرأون) والأوتاد صاحب الجنود والعساكر أو الأوتاد: أى الأهرام إذ هى شبيهة بالجبال فلقد كان فرعون (لعنه الله) يعذب الناس ويربطهم بها، قال تعالى{وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} [النبأ: 7] ولقد عاقبه الله أن أغرقه إذ أن هذا الطاغية قال:{أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي} [الزخرف: 51] فأجراها الله من فوقه قال تعالى:{حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ} [يونس: 90].

**والعنصر الثالث من عناصر هذا اللقاء – إخوة الإسلام –:**

☒ **ثالثا: دمار المجتمعات بالطغيان والفساد:**

حيث بين رب العزة تبارك وتعالى في ذات السورة عاقبة هؤلاء ومن يسير على نهجهم قال تعالى:{الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [الفجر: 11 - 14].

**والطغيان:** هو مجاوزة الحد والفساد نقيض الصلاح وصلاح كل شيء

بقوته وسوط عذاب كناية عن غاية العذاب والسوط هو الكرباج، فلقد حدثنا القرآن الكريم عن ثلاث مجتمعات مختلفة متباعدة الأماكن والأزمنة، ومع ذلك فقد سارت فيها الأمور سيرة واحدة، وانتهت بها الأمور إلى نتيجة واحدة مما يثبت أن ذلك يسير وفق قاعدة، وقانون يثبت أن الطغيان سبيل الفساد، فالإنسان بل كل إنسان عندما لما يلتزم الحدود فذلكم هو الجور والطغيان الذي يؤدى إلى الفساد والدمار.

والطغيان يقع من العامة والخاصة، ولكن حينما يقع الطغيان من العامة، فهذا أمر يمكن مواجهته، إذ هو القليل لقلة حدودهم وللعقاب الذي يفرض عليهم فيردع غيرهم، ولكن الخطورة حينما يقع الطغيان من الخاصة ومن بيدهم الأمر؛ حيث إنهم بمثابة العقل من الجسد ونحن نعلم ما يصيب الإنسان إذا اختل عقله وأصبح بغير ضابط أو رابط.

وفى ذلك يقول الله ﷻ: **{وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا}** [الإسراء: 16] ومعنى أمرنا مترفيها أى أمرنا بالصلاح والإصلاح إذ أن الله عز وجل لايأمر بالفساد فالآية فيها تقدير محذوف أو على الذي يتولى الإمارة أهل الفساد فيفسدون لأن الله أراد الهلاك بسبب فعل المعاصي.

**واعلموا إخوانى في الله:**

أن مانراه الآن من طغيان أمريكا الصغرى على شعب فلسطين وطغيان أمريكا الكبرى على المسلمين، خاصة العراق قد تنبأ بها الرسول ﷺ قبل ألف وأربعمائة عام حيث يقول: ♂**يوشك أهل العراق أن ألا يجبى إليهم قفيز** [1] **ولا درهم**ـــ، قيل من أين ذاك؟ قال: ♂**العجم** [2] **يمنعون. يوشك أهل الشام ألا يجبى إليهم درهم ولا مدى**ـــ، قيل: من أين ذاك؟ قال: ♂**فالروم**ـــ.

وقول الله ﷻ: **{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}**.

الرصد هو الطريق، وبالمرصاد أى واقف على الطريق، أو أنه

(1) مكيال.
(2) هم كل ما سوى العرب.

جواب للأقسام السابقة يسمع ويرى ولايفوته من أعمالهم شيء وهو ينزل حكمه على الأفراد والجماعات من خلال نواميسه وسننه المقدرة إن خيرا فخير وإن شرا فشر وصدق الله حيث قال:{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} [الروم: 41]، وقال تعالى:{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى: 30] وختاما: لا أملك إلا أن أقول إن الصراع بين الحق والباطل سيظل موجود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وأن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة حيث بين رسول الله ﷺ ذلك فقال في الحديث المتفق عليه:♂إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته— ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى:{وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء} [إبراهيم: 42، 43] ولنعلم أن النصرة للحق مهما طال الزمان حيث يقول الله عز وجل:{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الأنبياء: 18].

وكما أخبر ربنا:{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ} [الرعد: 17] ولنعلم أن ميراث الأرض يكون للقوى الأصلح حيث البقاء للأصلح من بنى الإنسان وليس من نصيب الضعفاء ولا الطغاة الفاسدين، كما قال تعالى:{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء: 105].

وإذا كان عددنا كثير فإننا عندنا المقدرة على أخذ الحق بفضل الله، حتى لا يتحقق فينا قول الشاعر:

ولم أر في عيوب الناس عيبا ::: كنقص القادرين على التمام

وليس ببعيد عنا ما حدث في ثورات الربيع العربي في مصر وليبيا وسوريا وغيرهم، نتيجة الظلم والاستبداد والاستعباد، ومن محاربة الحكام لدين رب العالمين، فقامت الثورات بتوفيق من الله وحده، إلا أن دين الله يحتاج لمن ينصره فينصر الله المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} [محمد: 7، 8].

نسأل الله أن يوحد كلمتنا وأن يؤلف بين قلوبنا.

اللهم آمين.

* * *

## متى نصر الله؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

**إخوة الإيمان والإسلام:**

إن الله تبارك وتعالى هو الحكم العدل، يحب العدل في الأمر كله، ويبغض الظلم والظالمين، ويبغض من يمد يد العون لكل ظالم. فبالعدل كان الثواب والعقاب.. وبالعدل كانت الحياة؛ فالعدل أساس الملك.

**وسنتناول هذا الموضوع إن شاء الله من خلال العناصر التالية:**

**أولا: ابتلاءات للمسلمين.**

**ثانيا: مصير الظالمين.**

**ثالثا: متى نصر الله.**

**أولا: ابتلاءات للمسلمين:**

يقول الله ﷻ: **{وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء}** [إبراهيم: 42، 43].

إن مايحدث الآن في شتى بقاع الأرض الإسلامية المضطهدة - لاسيما في العراق وفلسطين - سوريا إنما هو أمر يسير حسب قدرة الله وإرادته، إذ أن كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ قبل بداية الخلق. ومايحدث للمسلمين الآن إنما هو من قبيل الابتلاء، وفى ذلك تكفير للذنوب والآثام. وما يحدث الآن ليس بجديد وإنما أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: **♂يوشك أهل العراق أن ألا يجبى إليهم قفيز ولا درهم** [1]ـــ، قال جابر من أين ذاك؟ قال: **♂العجم** [1] **يمنعون. يوشك أهل الشام**

(1) الدرهم الآن عملة معترف بها في فلسطين، ولبنان، والأردن، وسوريا وهم أهل الشام.

**أن ألا يجبى إليهم دينارولامدى**، قيل: من أين ذاك؟ قال:♂**الروم**[2] [3]

.

وروى مسلم عن أبى هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:♂**يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا**.

ولعل ما نراه الآن ونشاهده من قبل أمريكا وأوربا نلاحظ من خلاله:

حرص هؤلاء على النفط العراقى، نظرا لأهمية النفط، ومايمتلكه العراق من ثروات ومخزون يعادل ثلثى النفط العالمى، وطلب حلف الناتو لدخول ليبيا.

وفي فترة حكم جورج بوش (الأب) أرسل فريقا من فرق البحث العلمى يستكشف عن وجود هذا الكنز الذهبى، الذي أخبر عنه الرسول ﷺ، وجاء تقرير الفريق أن هناك وجودا وأثرا لهذا الكنز. فلعل السبب في الغزو بعد (النفط) أن يكون له السبق في الحصول على هذا الكنز.

ونقول لهؤلاء المعتدين قول الشاعر:

**لا تظلمن إذا ماكنت مقتدرا ::: فالظلم يرجع عقباه إلى الندم**
**تنام عيناك والمظلوم منتبه ::: يدعو عليك وعين الله لم تنم**

❖ **ثانيا: مصير الظالمين:**

**عباد الله:**

لكل ظالم نهاية مهما كانت قوته.. مهما كان جبروته.. مهما كانت شدته، وكما قيل: دولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة. فمصير الظالمين واضح معلوم، ولاجدال في ذلك، وإذا أردت أن تتعرف على ذلك: فانظر إلى حال الأمم السابقة، وحال الظالمين على مر العصور والأزمان.

* انظر إلى ماحدث لقوم نوح حينما أعرضوا عن دعوته،

(1) العجم كل ما سوى العرب.
(2) الروم: أوروبا وأمريكا.
(3) رواه مسلم عن جابر ☺.

واستهزؤوا به، ووصفوه بألفاظ بذيئة، فدعا دعوته بعد مايقرب من ألف سنة من الصبر على الدعوة واحتمال الأذى والصعاب.

{وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} [نوح: 26].

ولعل مايحدث الآن من حرب شاملة على العراق وأفغانستان خاصة، يبرر ذلك الرئيس الأمريكي فيقول: إن هناك خمسة وثلاثين دولة تقر الحرب، وهذا ليس صحيحا، نظرا لأن من أقر ذلك عدة دول لايتجاوز عددها عدد أصابع اليد الواحدة، ولو سلمنا جدلا أن من أقر ذلك خمسة وثلاثون دولة، فإن مايقرب من مائة وخمسين دولة لاتقر هذه الحروب الظالمة.

وانظر إلى ماحدث إلى قارون حينما استكبر بماله وكنوزه، إذ كان الأقوياء يعجزون عن حمل مفاتيح الخزائن.

فكان العقاب كما قال الله تعالى:{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ الله وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ} [القصص: 81].

وإذا كان أهل الفساد والكفر معهم القناطير المقنطرة من الأموال، فإن الله ﷻ حذرنا من الاغترار بذلك. قال تعالى:{لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ الله وَمَا عِندَ الله خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ} [آل عمران: 196 - 198].

فهذا تحذير وتهديد لأهل الكفر بأن النار مثوى لهم، وإذا كانت ربع ميزانية الولايات المتحدة تنفق على إسرائيل، فإن الله قادر على أن يخسف بهم الأرض.

وانظر - يا أخي في الله - إلى ماحدث لفرعون حينما نصب نفسه إلها وربا، وتكبر على الخالق والمخلوق، ودفعه إلى ذلك نعم الله عليه، واستخفافه بقومه وطاعتهم له.

فكان العقاب كما قال تعالى:{فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ

الله نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى} [النازعات: 23 - 25] كذلك أمريكا جعلت نفسها إلها من دون الله تعالى، وظن أهلها أنهم فوق البلاد والعباد، والله قادر على إغراقهم وتدميرهم.

وانظر إلى ما حدث لعاد وثمود، حينما تكبروا بقوتهم وشدتهم، وقالوا: من أشد منا قوة.

فكان العقاب أن أرسل الله عليهم ريحا صرصرا، فاقتلعتهم من جذورهم حتى صاروا كأعجاز نخل خاوية، ولاترى لهم من باقية.

ومازال الله يرينا آيات في أهل البغى والعناد والكفر والفساد، حيث تهب عليهم العواصف والريح المهلكة، فتدمر الغابات وتقلع الأشجار وتهدم البيوت وتشرد الناس وتهلكهم.

وانظر - أخى رعاك الله - ماحدث من أبرهة حينما دخل مكة غازيا من أجل هدم البيت الحرام، أرسل الله عليه وعلى جنوده طيرا أبابيل، فجعلتهم كعصف مأكول. وكانت هذه الطيور ضعيفة معها أحجار صغيرة فحطمته وأبادته هو وجنوده{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: 31].

وبالجملة نقول لأهل الكفر: مهما امتلكتم من أموال وسلطات ومعدات وأنفقتموها من أجل حرب الإسلام والمسلمين فستكون هذه الأموال حسرة وندامة وخزى في الدنيا والآخرة.

قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ الله فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ الله الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [الأنفال: 37].

وأخيرا متى نصر الله؟!

عباد الله: إن نصر الله قريب، نعم النصر والهزيمة بيد الله جل وعلا ولكن مسبب الأسباب يحب من عباده أن يأخذوا بالأسباب. فالنصر يستلزم عدة أمور من أهمها:

1) **الإيمان بالله:**

والإيمان بالله يعنى الإيمان المطلق بالله جل وعلا. فلو أننا مؤمنون حقا لنصرنا الله ﷻ. قال تعالى:{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: 47].

فحين نؤمن الإيمان الحقيقى سينصرنا الله على قوى الكفر والضلال، سينصرنا الله على هؤلاء الظالمين المعتدين.

قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخارى ومسلم من حديث أبى موسى رضي الله عنه: **إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ:{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}** [هود: 102]**ـــ.**

فالظلم: أخذ مال الغير بغير الحق، ومبارزة الرب بالمخالفة والمعصية.

ومن مظاهر الإيمان: عدم موالاة الكفار والسير على منهجهم. حيث يقول ربنا:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى الله أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} [المائدة: 52].

وعندئذ يأتى الدفاع من الله:{إِنَّ الله يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الله لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} [الحج: 38].

ولا يتأتى الدفاع عن المؤمنين إلا بتغير الحال من الأسوأ إلى الأحسن، وإظهار الإيمان المطلق لله رب العالمين.

يقول ربنا:{إِنَّ الله لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ الله بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} [الرعد: 11].

2) **الثقة بالله ﷻ:**

لكى ينصرنا الله لابد أن نكون على ثقة كاملة بالله، وعلى يقين بما عند الله أكثر مما في أيدينا.

فإن كان عدد العدو كبير، فلنتذكر عدد المسلمين في غزوة بدر، فئة قليلة من كل شيء إلا أنها تثق في ربها تمام الثقة، وكانوا محرومين من كل شيء إلا من الإيمان. واليوم عددنا كبير ولكن ينقصنا الترابط

والتعاون والاعتصام بحبل الله جميعا، ويشخص لنا رسول الله ﷺ داء الأمة اليوم، فيقول في الحديث الذي رواه أحمد وابن ماجه من حديث جابر: ♂**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها**— قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: ♂**لا، بل كثير ولكن غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من صدور أعداءكم وليقذفن في قلوبكم الوهن**— قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: ♂**حب الدنيا وكراهية الموت**—.

ولنعلم جميعا أن عدونا بأسهم بينهم شديد، فلا تغتر بعدتهم ولاعددهم. قال تعالى: {**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**} [آل عمران: 173].

وينبغي ألا ترهبنا أعدادهم وعتادهم، ولنقرأ قول الله: {**وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**} [الحشر: 2].

والله قادر على نصر أوليائه، ومايعلم جنود ربك إلا هو، فالكون كله بيد الله، وهو بيده كل شيء. فالله نصر رسوله والمؤمنين يوم الأحزاب بالريح.

3) **الجهاد:**

يقول الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**} [الصف: 10 - 12].

فالله ﷻ كرر الإيمان بعد النداء بالمؤمنين. والجهاد له أنواع كثيرة فهناك الجهاد بالنفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين قال تعالى: {**ولله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**} [المنافقون: 8].

وقال تعالى: {**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**} [الشعراء: 227].

نسأل الله جل وعلا أن ينصر الإسلام، وأن يعز المسلمين.

اللهم آمين.

* * *

## تحذير للعرب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

**إخوة الإسلام**

بالنظر [1] إلى ماكانت عليه الأمم التي تعيش حول الجزيرة العربية قبيل الإسلام، كان يتصدر العالم آن ذاك دولتان اثنتان، تتقاسمان العالم المتمدن هما فارس والروم، ويأتي من ورائهما اليونان والهند، وكان يسيطر على هذه الدول الفوضى والانحلال. أما الجزيرة العربية فقد كانت هادئة بعيدة بل منعزلة عن هذه المجتمعات، ولم يكن لدى أهلها من الترف والمدينة شيئا يذكر، كما كانت طبائعهم أشبه ما تكون بالمادة الخام، إلا أنهم كانوا يعيشون في ظلمة من الجهالة البسيطة والحالة الفطرية الأولى. فكان يغلب عليهم بسبب ذلك أن يضلوا الطريق إلى تلك القيم الإنسانية فيقتلوا الأولاد ويتلفوا الأموال.

وهذه الحالة هى التي عبر عنها ربنا بقوله:{وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ} [البقرة: 198] فأرسل الله نبيه ومصطفاه، هذا النبى الأمى إلا أنه علم المتعلمين، بعثه الله إلى العرب والناس أجمعين. والعرب من الناحية اللغوية تعنى الصحارى والأرض المجدبة التي لاماء فيها ولانبات، وقد أطلق هذا اللفظ منذ أقدم العصور على جزيرة العرب.

وفى ذلك يقول الله ﷻ:{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [الجمعة: 2].

وكما نعلم أن أبا العرب هو سيدنا إسماعيل عليه السلام، وقد جاء من نسله سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ، فجاء شاهدا ومبشرا ونذيرا. شاهدا على أمته وعلى الأمم السابقة، ومبشرا بكل خير وبنعم الله جل

(1) الرحيق المختوم.

وعلا، ونذيرا ينذر كل من خرج عن المنهج القويم منهج رب العالمين.

أخرج البخارى ومسلم عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها فزعا يقول: ♂**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب**ـــ، وفى رواية: استيقظ النبى ﷺ من النوم محمرا وجهه، وهو يقول: ♂**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا** (وحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها)ـــ قالت زينب ابنة جحش: يا رسول الله أفنهلك ومنا الصالحون؟! قال: ♂**نعم، إذا كثر الخبث**ـــ ذكر البخارى ومسلم هذا الحديث في كتاب الفتن، والنبى ﷺ قد حث أزواجه على الصلاة وكثرة العبادة، خشية أن تقع الفتن في زمانه، فنحن أولى بالخوف في زماننا هذا. وهذا دليل على دفع الفتن بالطاعات وعمل الصالحات والاجتهاد في العبادات.

**عباد الله:**

قولها: أن النبى ﷺ دخل يوما فزعا، وفى رواية: استيقظ النبى ﷺ من النوم محمرا وجهه.

فهذا هو حال النبى ﷺ، وهو يدل على عنايته بالأمة، فقام مهموما لما يصيبها في المستقبل، ودخل عليها بعد أن استيقظ من النوم، وقوله ﷺ: ♂**لا إله إلا الله**ـــ.

لا إله إلا الله: هى كلمة الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، وهى الكلمة التي يحيا ويموت عليها المؤمن، هى الكلمة التي يلقى عليها المؤمن خالقه ومولاه، هذه الكلمة التي تعنى إفراد الواحد الأحد بالعبادة، أى أنه لا معبود بحق إلا الله.

ويروى أن موسى عليه السلام طلب من ربه أن يعلمه شيئا يذكره به فقال له: يا موسى، قل لا إله إلا الله. فقال موسى: يا رب كل عبادك يقولوا لا إله إلا الله. فقال تبارك وتعالى: (يا موسى، لو أن السماوات السبع ومن فيهن والأراضين السبع ومن فيهن وضعت في كفة، ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله).

وهذه الكلمة العظيمة يقولها المؤمن فينجو بإذن الله. ذكرها يونس

عليه السلام وهو في ظلمات ثلاث (ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت)، فنجاه الله:{فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَـهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: 87].

وفى هذا الحديث الذي نحن بصدده قال النبى ﷺ هذه الكلمة العظيمة متعجبا، تذكرنا بقوله: (سبحان الله) في حديث (صواحب الحجر) هن وزوجاته. حين استيقظ من نومه ذات يوم قائلا:♂**سبحان الله، ماذا أنزل الله الليلة من الفتن...**—.

**ثانيا: لم خص العرب بالهلاك؟**

**إخوة الإسلام:**

قال الرسول الكريم في هذا الحديث:♂**ويل للعرب من شر قد اقترب**—.

قال ابن حجر: إنما خص العرب بالذكر، لأنهم أول من دخلوا في الإسلام، وللإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم.

ويقول ابن خلدون في مقدمته: إن العرب لايحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية، أو أثر عظيم من الدين بالجملة. والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض، للخلطة والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم. فإذا كان النبى أو الولى الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق. وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى، ولسلامة طباعهم من عوج الملكات من ذميم الأخلاق إلا ماكان من خلق التوحش القريب المعاناة المنهى لقبول الخير ببقائه على الفطرة الأولى.

وقد جاء الرسول ﷺ وأخرج الكثير والكثير منهم أمثال جعفر بن أبى طالب، وخالد بن الوليد... وغيرهم كثير.

فكأن قول النبى الكريم:♂**ويل للعرب**— لأنهم يكونون أكثر الأمم تأثرا بتلك الفتن، فهذا يدعوهم إلى أن يكونوا أكثر الناس صلاحا وعلما

وعملا ودعوة وتعبدا وخلقا وسلوكا. وفى ذلك دعوة خاصة للطاعة بتحذير العرب لأنهم رداء الإسلام [1].

والمراد " بالشر " وقع بعد النبى ﷺ من قتل عثمان، وكثرة المفاسد العظيمة في بلاد الإسلام، ثم توالت الفتن حتى صار العرب بين الأمم كالقصعة بين الأكلة، كما جاء في الحديث: ♂**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها**— قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله قال: ♂**بل كثير ولينزعن الله المهابة من صدوركم وليقذفن في قلوبكم الوهن**— قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: ♂**حب الدنيا وكراهية الموت**— [2].

قال العلامة القرطبى: ومحتمل أن يكون المراد بالشر ما أشار إليه في حديث أم سلمة ♥ حين قال رسول الله ﷺ: ♂**ماذا أنزل الليلة من الفتن، وماذا أنزل من الخزائن**— فأشار ذلك إلى الفتوح التي فتحت بعده فكثرت الأموال في أيديهم فوقع التنافس الذي جر الفتن.

وقول النبى ﷺ: ♂**فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج**—.

**يأجوج ومأجوج**: اسمان أعجميان عند الأكثر، منعا من الصرف للعلمية والعجمة. وقيل بل عربيان، وقيل أنهما من الترك. واختلف في اشتقاق اسمهما: قيل من أجيج النار أى التهابها، وقيل من الأجَّه أى الاختلاط، وقيل من الأج وهو سرعة العدو، وقيل من الأجاج وهو الماء الملح [3].

**والردم**: هو السد الذي بناه ذو القرنين، وقد ورد أنهم يحفرون كل يوم حتى لايبقى إلا اليسير فيقولون: (نكمل غدا) فيرجع كما كان إلى أن يقولوا إن شاء الله. كما ورد عند الترمذى وابن حبان.

يقول ابن حجر (رحمه الله): وقد ثبت أن خروج يأجوج ومأجوج قبل قيام الساعة فإذا فتح من ردمهم ذلك القدر في زمنه ﷺ، لم يزل الفتح يتسع على مر الأوقات، فكيف اليوم. نسأل الله السلامة.

(1) فتح المبدى.
(2) سبق تخريجه.
(3) قصص القرآن.

وهم يخرجون في زمن عيسى عليه السلام فيتحصنون بجبل الطور، فيرسل الله عليهم نغفا أى دودا حتى يسيروا (فرسا). أى: موتى حيث يدعو عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين ربهم عز وجل فيرسل عليهم طيرا فتحملهم حيث شاؤوا:

وقول النبى صلى الله عليه وآله: **مثل هذه**. وحلق بأصبعيه والتى تليها أى: جعلها مثل الحلقة، فقد كان للعرب طريقة في العد والحساب في إشارة اليد.

وقوله صلى الله عليه وآله: **نعم، إذا كثر الخبث** حين سأل: (أفنهلك وفينا الصالحون؟!)

فيه تحذير العامة وتعريفهم دفع البلاء بالدعاء والطاعة واللافظ بهذا السؤال هى (زينب بنت جحش)، (وفينا الصالحون؟!) كأنها أخذت ذلك من قول الله تعالى:{وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ} [الأنفال: 33] ولفظة (خبث) وردت مايقرب من خمس عشرة مرة على اختلاف مشتقات الكلمة في القرآن الكريم والخبث ضد الطيب.

قال ابن العربى (رحمه الله): فيه البيان بأن الخير يهلك بهلاك الشرير، وإذا لم يتغير في خبثه، وإذا لم يجد فيه هذا التغيير وهذا يذكرنا بأمر الله عز وجل لجبريل عليه السلام أن يهلك قرية قوم لوط فقال جبريل: **إن فيهم عبدك الفلانى، وهو عبد صالح. قال الله تعالى: (به فابدأ فإنه كان لا يتمعّر** [1] **وجهه من أجلى**.

ونخلص من ذلك: أن كثرة الخبث مهلكة للأمة فإن رأس الخبث الشرك وكلمة الكفر، انتشار العرافين بكتابة أبواب في الصحف عن الحظ في الأيام والشهور والسنوات وموالاة الكافرين وتعظيم أعيادهم وهيآتهم وتفشى ظاهرة التبرج، وكثرة الخبث في المال والتكسب منه، والغش في الأسواق والإعلان عن الأفلام الهابطة المفسدة [2].

قال ابن حجر (رحمه الله): فسر الخبث بالزنا، وبأولاد الزنا وبالفسوق والفجور. فإذا كثر الخبث هان الناس على الله تعالى فأوقع

(1) يتمعَّر: يتغير.
(2) مجلة التوحيد للشيخ صفوت نور الدين - رحمه الله -.

الوهن في قلوبهم، وهانوا على أعدائهم، فاستلبوا أرضهم واستحلوا دماءهم وأموالهم فإنهم لما غيروا من أنفسهم غير الله تعالى بهم.

قال تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال: 53].

**إخوة الإسلام والإيمان:**

إنه لارجوع إلى العز الأول مهما عقد المؤتمرات وحشدت المظاهرات وكثرت الأعداد والأموال - إلا إذا رجع المسلمون عن كل خبيث فلا تعجبك كثرة الخبيث، ولا تخدعك المظاهر فإن الله تعالى يقول:{إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} [الرعد: 11].

ويقول نبى الهدى والرحمة ﷺ: **لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه**[1].

ألا ليت قومى يعلمون

نسأل الله أن يجنبنا الزلل وأن يجنبنا الفتن، وأن يجنبنا الفواحش ماظهر منها وما بطن.

اللهم آمين.

* * *

(1) رواه مسلم من حديث أنس.

## الخاتمة

وبعد: فقد استبان لكل ذى لب من هذه الآداب والأخلاق أن محمدا رسول الله وخاتم النبيين قد جاء بدين قويم، وشرع حكيم رحيم وأن الإصلاح الإسلامي المحمدي يقضي على كل ما هو مفسد، ويحث على كل مافيه نفع للناس، وبذلك يظهر للناس ولسائر الأمم ما امتاز به الإسلام من الإصلاح العام للإنسانية، وأنه لو لم يكن رسول الله وخاتم النبيين الذي جاء بإكمال دين الله الذي شرعه على ألسنة من سبقه من المرسلين، لما جاء للإنسانية بخير مما جاؤوا به كلهم أجمعون. فكونوا بذلك عونا لإخوانكم المجددين لهداية الإسلام،،

وصلى الله على محمد وآله وعلى سائر الأنبياء جميعا.

والحمد لله رب العالمين،

* * *